

حِفْظُ أَوْامِرِ اللَّهِ تَعَالَى

الدَّرْسُ
24

أَهْدَافُ الدَّرْسِ

1. أَنْ أَتَعَرَّفَ مَعْنَى حِفْظِ اللَّهِ.
2. أَنْ أَدْرِكَ ثَمَرَةَ حِفْظِ اللَّهِ، وَالْعَلَاقَةَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْإِيمَانِ بِقَدْرِهِ.
3. أَنْ أَتَمَثَّلَ الْمَقَاصِدَ الشَّرْعِيَّةَ مِنَ الْأَمْرِ بِحِفْظِ اللَّهِ وَالتَّعَلُّقِ بِهِ.

تَمْهِيدٌ

مِنْ ثَمَرَةِ حِفْظِ اللَّهِ تَعَالَى، وَالتَّعَلُّقِ بِهِ سُؤَالًا وَطَلِبًا، سِرًّا وَعَلْنًا، فِي الشَّدَّةِ وَالرَّخَاءِ، أَنْ يُشْمَلَ الْعَبْدُ بِحِفْظِ إِلَهِيٍّ شَامِلٍ، يَجْعَلُهُ مُخْلِصًا فِي إِيْمَانِهِ، مُطْمَئِنًّا فِي نَفْسِهِ، صَالِحًا فِي حَالِهِ، مُوَفَّقًا فِي عَمَلِهِ.

فَمَا مَعْنَى حِفْظِ اللَّهِ؟ وَمَا ثَمَرَتُهُ وَعَلَاقَتُهُ بِالْإِيمَانِ بِقَدْرِ اللَّهِ؟

الْحَدِيثُ

عَنْ أَبِي الْعَبَّاسِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: كُنْتُ خَلْفَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا، فَقَالَ: «يَا غُلَامُ؛ إِنِّي أَعْلَمُكَ كَلِمَاتٍ: احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَإِنْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ، وَجَفَّتِ الصُّحُفُ». [سُنَنُ التِّرْمِذِيِّ]

وَفِي رِوَايَةٍ غَيْرِ التِّرْمِذِيِّ: «أَحْفَظُ اللَّهَ تَجِدُهُ أَمَامَكَ، تَعْرِفُ إِلَى اللَّهِ فِي الرِّخَاءِ يَعْرِفُكَ فِي الشَّدَّةِ. وَاعْلَمْ أَنَّ مَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبِكَ، وَمَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ. وَاعْلَمْ أَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ، وَأَنَّ الْفَرْجَ مَعَ الْكَرْبِ، وَأَنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا». [المستدرک للحاکم]

تَرْجَمَةُ الرَّأْيِ

عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: هُوَ ابْنُ عَمِّ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَحَدُ الْعِبَادِلَةِ مِنَ الصَّحَابَةِ، وَلِدَ قَبْلَ الْهَجْرَةِ بِثَلَاثِ سِنِينَ، مَنَاقِبُهُ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ تُحْصَرَ، حَنَّكَ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِرِيقِهِ، وَدَعَا لَهُ فَقَالَ: «اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ وَعَلِّمْهُ التَّأْوِيلَ». [المعجم الصغير للطبراني]، وَدَعَا لَهُ بِأَنْ يُؤْتَى الْحِكْمَةُ مَرَّتَيْنِ كَمَا أَخْبَرَ عَنْ نَفْسِهِ؛ فَكَانَ بَحْرَ الْأُمَّةِ، وَحَبْرَهَا، وَتُرْجَمَانِ الْقُرْآنِ. عُرِفَ بِرَجَاحَةِ عَقْلِهِ وَفَصَاحَتِهِ وَفِقْهِهِ وَعِلْمِهِ. تُوْفِّيَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَامَ ثَمَانِيَةِ وَسِتِّينَ لِلْهَجْرَةِ.

الْفَضْلُ

الشَّرْحُ:

أَحْفَظُ اللَّهَ: احْفَظْ أَوْامِرَ اللَّهِ وَنَوَاهِيَهُ بِالِامْتِنَالِ.
تَجِدُهُ تُجَاهَكَ: تَلْقَهُ أَمَامَكَ فِي كُلِّ مَا تُرِيدُ مِنْ جَلْبِ خَيْرٍ أَوْ دَفْعِ مَكْرُوهِ.
كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ: قَدَّرَهُ لَكَ.

جَفَّتِ الصُّحُفُ: الْمُرَادُ بِهِ أَنَّ مَا قَدَّرَهُ اللَّهُ لَا تَبْدِيلَ لَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ.
تَعَرَّفَ إِلَى اللَّهِ: قُمْ بِحُقُوقِهِ وَوَاجِبَاتِهِ.
فِي الرَّخَاءِ: فِي الصَّحَّةِ وَالْغِنَى.
مَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبِكَ: مَا قَدَّرَ اللَّهُ أَنْ يُخْطِئَكَ لَنْ يُصِيبَكَ أَبَدًا.
وَأَنَّ الْفَرَجَ مَعَ الْكَرْبِ: أَنَّ ذَهَابَ الشَّدَّةِ وَزَوَالَهَا يَكُونُ بَعْدَ الْعُسْرِ.

اسْتِخْلَاصُ الْمَضَامِينِ:

1. اسْتَخْرِجْ مِنَ الْحَدِيثِ وَصَايَا رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.
2. مَا فَضَّلَ حِفْظَ اللَّهِ تَعَالَى وَالتَّعَلُّقَ بِهِ؟
3. اسْتَخْرِجْ مِنَ الْمَتْنِ عَجَزَ النَّاسِ كُلِّهِمْ عَنْ نَفْعِ أَحَدٍ أَوْ ضَرِّهِ بِشَيْءٍ دُونَ إِذْنٍ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى.

التَّحْلِيلُ

يَشْتَمِلُ حَدِيثُ الدَّرْسِ عَلَى وَصَايَا عَظِيمَةٍ جَامِعَةٍ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، نُجْمِلُهَا فِي الْآتِي:

أَوَّلًا: مَعْنَى حِفْظِ اللَّهِ تَعَالَى وَثَمَرَاتِهِ

قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَحْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، أَحْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ»، مَعْنَاهُ: اْعْمَلْ لَهُ بِالطَّاعَةِ، وَلَا يَرَاكَ فِي مُخَالَفَتِهِ، فَإِنَّكَ تَجِدْهُ مَعَكَ فِي الشَّدَائِدِ، يَحْفَظُكَ بِحِفْظِهِ وَيَرْعَاكَ بِعِنَايَتِهِ.

وَمِنْ ثَمَرَاتِ ذَلِكَ: أَنَّكَ إِذَا حَفِظْتَ اللَّهَ حَقَّ الْحِفْظِ حَفِظَكَ بِكَمَالِ الرَّعَايَةِ وَالْحِفْظِ فِي كُلِّ الْأَحْوَالِ، خُصُوصاً حَالَ الشَّدَّةِ؛ كَمَا وَقَعَ لِلثَّلَاثَةِ الَّذِينَ أَصَابَهُمُ الْمَطَرُ فَأَوَوْا إِلَى غَارٍ، فَاَنْحَدَرَتْ صَخْرَةٌ فَانْطَبَقَتْ عَلَيْهِمْ. فَقَالُوا: انْظُرُوا مَا عَمِلْتُمْ مِنَ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ، فَاسْأَلُوا اللَّهَ تَعَالَى بِهَا، فَإِنَّهُ يُنْجِيكُمْ. فَذَكَرَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ سَابِقَةً سَبَقَتْ لَهُ مَعَ رَبِّهِ، فَاَنْحَدَرَتْ عَنْهُمْ الصَّخْرَةُ، فَخَرَجُوا يَمْشُونَ. وَقَصَّتُهُمْ مَشْهُورَةٌ فِي الصَّحِيحَيْنِ. فَمَنْ كَانَ مُطِيعاً لِرَبِّهِ، مُؤْتَمِراً بِأَوَامِرِهِ، مُنْتَهِياً عَنْ نَوَاهِيهِ، كَانَ اللَّهُ لَهُ فِي دُنْيَاهُ بِإِصْلَاحِ الْحَالِ، وَفِي آخِرَاهُ بِالْإِثَابَةِ وَالرِّضْوَانِ.

ثَانِيًا: التَّوَكُّلُ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى وَالتَّعَلُّقُ بِهِ عَزَّ وَجَلَّ:

قَوْلُ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ»، فِيهِ إِرْشَادٌ لِابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا إِلَى التَّوَكُّلِ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَأَنْ لَا يُعَوَّلَ عَلَى سِوَاهُ، وَلَا يَتَعَلَّقَ بِغَيْرِهِ فِي جَمِيعِ أُمُورِهِ مَا قَلَّ مِنْهَا أَوْ كَثُرَ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَدَعُوهُ حَسْبُهُ﴾. [الطلاق:3]؛ فَبَقْدَرِ مَا يَرْكَنُ الشَّخْصُ إِلَى غَيْرِ اللَّهِ تَعَالَى بِطَلْبِهِ أَوْ بِقَلْبِهِ أَوْ بِأَمَلِهِ، يَكُونُ قَدْ أَعْرَضَ عَنْ رَبِّهِ وَالتَّجَا إِلَى مَنْ لَا يَضُرُّهُ وَلَا يَنْفَعُهُ.

فَلَا تَتَوَجَّهْ إِلَى غَيْرِ اللَّهِ رَجَاءً وَرَغْبَةً، أَوْ خَوْفًا وَرَهْبَةً؛ فَإِذَا سَأَلْتَ أَوْ اسْتَعَنْتَ فِي خَيْرٍ أَوْ دَفَعَ ضُرٌّ، فَاسْأَلِ اللَّهَ وَحْدَهُ وَاسْتَعِنْ بِهِ دُونَ غَيْرِهِ مِنْ إِنْسٍ أَوْ جِنٍّ، أَوْ حَيٍّ أَوْ مَيِّتٍ، أَوْ غَيْرِهِمَا؛ لِتَحْفَظَ لَهُ حَقَّ الْعِبَادَةِ الْخَالِصَةِ، كَمَا يَسْتَوْجِبُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ غُورُوا لِلَّهِ فُخْلِصِيْ لَهٗ إِلَهِي﴾. [غافر: 13]

ثَالِثًا: الْإِيمَانُ بِقَضَاءِ اللَّهِ وَقَدَرِهِ

قَوْلُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَأَعْلَمُ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَإِنْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ. رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ، وَجَفَّتِ الصُّحُفُ» فِيهِ تَأْكِيدُ: أَنَّ الْإِيمَانَ بِقَضَاءِ اللَّهِ وَقَدَرِهِ رُكْنٌ أَسَاسِيٌّ مِنْ عَقَائِدِ الْإِيمَانِ، الَّتِي تُثْمِرُ أَنْ لَا يَخَافَ الْمُؤْمِنُ وَلَا يَسْأَلُ غَيْرَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ؛ لِأَنَّهُ مُتَيَقِّنٌ أَنَّهُ لَا يَنَالُهُ نَفْعٌ أَوْ ضَرٌّ إِلَّا بِقَضَاءِ اللَّهِ، الَّذِي لَا يَمْلِكُ أَحَدٌ أَنْزَالَهُ أَوْ دَفْعَهُ؛ فَلَوْ اجْتَمَعَتِ الْأُمَّةُ عَلَى نَفْعِكَ أَوْ ضَرِّكَ مَا قَدَرْتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ.

فَالْإِيمَانُ بِقَضَاءِ اللَّهِ وَقَدَرِهِ يُثْمِرُ عَدَمَ تَعَلُّقِ الْإِنْسَانِ بِغَيْرِهِ سُبْحَانَهُ؛ لِأَنَّهُ هُوَ الْفَاعِلُ فِي الْحَقِيقَةِ؛ فَالْكُلُّ بِقَدَرِهِ وَقَضَائِهِ الَّذِي يَجِبُ الرِّضَا بِهِ وَالتَّسْلِيمُ لَهُ. وَهَذَا مَا يُؤَكِّدُهُ أَيْضًا قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَأَعْلَمُ أَنَّ مَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، وَمَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ».

وَقَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ، وَجَفَّتِ الصُّحُفُ» تَأْكِيدُ أَيْضًا لِمَا تَقَدَّمَ مِنْ أَنَّهُ لَا يَكُونُ خِلَافُ مَا كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ بِنَسْخٍ أَوْ تَبْدِيلٍ.

رَابِعًا: الْفَرَجُ مَعَ الصَّبْرِ

وَقَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الرَّوَايَةِ الْأُخْرَى: «وَأَعْلَمُ أَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ، وَأَنَّ الْفَرَجَ مَعَ الْكَرْبِ، وَأَنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا»، فِيهِ تَنْبِيهُ عَلَى أَنَّ النَّاسَ فِي الدُّنْيَا، وَلَا سِيَّمَا الصَّالِحُونَ مِنْهُمْ، مُعَرَّضُونَ لِلْمَصَائِبِ وَالِابْتِلَاءَاتِ؛ لِقَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَفْعٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ

الصَّابِرِينَ ﴿١٥٤﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٥﴾ أُوْلَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿١٥٦﴾ [البقرة: 154-156]. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا يُوقِرُ الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾. [الزمر: 11]

وَمِمَّا يُسْتَفَادُ مِنَ الْحَدِيثِ:

- الْيَقِينُ بَأَنَّ الْإِنْسَانَ لَنْ يَفُوتَهُ مَا قُدِّرَ لَهُ، وَأَنَّهُ لَنْ يُدْرِكَ مَا لَمْ يُقَدَّرْ لَهُ، فَلْيُجْمَلْ فِي الطَّلَبِ، كَمَا فِي وَصِيَّةِ لُقْمَانَ لِابْنِهِ: ﴿يَلْبَسْ إِثْقَالَ تَكُ مِنْغَالًا حَبَّةٌ مِّمَّنْ خَرَدَلٍ قَتَكَ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِي بِهَا اللَّهُ إِيَّا اللَّهَةَ لَكَيْفُ خَيْرٌ﴾.

[لقمان: 15]

- تَوْطِينُ النَّفْسِ وَتَرْبِيَّتُهَا عَلَى الثِّقَةِ بِاللَّهِ تَعَالَى وَدَفْعِ الْيَأْسِ وَالصَّبْرِ عَلَى الْإِبْتِلَاءِ.

- الْأَخْذُ بِاللُّطْفِ وَاللِّينِ فِي تَرْبِيَةِ الطِّفْلِ وَتَعْلِيمِهِ، كَمَا هُوَ وَاضِحٌ فِي قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِابْنِ عَبَّاسٍ: «يَا غُلَامُ إِنِّي أَعْلَمُكَ كَلِمَاتٍ».

التَّقْوِيمُ

1. مَا مَعْنَى قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَحْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ»؟

2. أُبَيِّنُ كَيْفِيَّةَ التَّعَلُّقِ بِاللَّهِ.

3. أَوْفِّقُ: بَيْنَ مَعْنَى: «وَأَعْلَمُ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ»، وَبَيْنَ نَفْعِ النَّاسِ بَعْضِهِمْ بَعْضًا.

الاستثمار

يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلدِّينِ بِكَهْرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ حَنِيباً وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ 80 • وَحَاجَّةُ قَوْمِهِ، قَالَ أَنُحَاجُّونِي فِي اللَّهِ وَقَدْ نَعِدُ بِـي وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ، إِلَّا أَنُشَاءَ رَبِّي شَيْئاً وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْماً أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ 81 • وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ، عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَتَى الْفَرِيفِيُّ أَحْوَى بِالْأَمْرِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ 82 • الْدِّيرَاءُ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُنْقَدُونَ 83 • [الأنعام: 80-83]

1. أُحَدِّدُ مِنَ الْآيَاتِ مَا يَدُلُّ عَلَى التَّعَلُّقِ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.
2. أُبَيِّنُ فِي الْآيَاتِ مَا يَدُلُّ عَلَى عَدَمِ خَوْفِ سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِيْمَانًا بِالْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ.
3. مَا مَصْدَرُ الْأَمْنِ الَّذِي يَتَحَدَّثُ عَنْهُ سَيِّدُنَا إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ؟

الإعداد القبلي

- أَحْفَظُ حَدِيثَ الدَّرْسِ الْآتِي، وَأَقُومُ بِمَا يَلِي:
1. أَشْرَحُ: كَلَامِ النُّبُوَّةِ الْأُولَى، لَمْ تَسْتَحْيِ، فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ.
 2. أُبَيِّنُ فَضْلَ الْحَيَاءِ وَمَظَاهِرَ الْحَيَاءِ.